

ابن الرومي في ميزان النقد القديم والحديث

Ibn Al-roumi in the old and the modern balance of criticism

أ. وردة سهل*، جامعة أم البواقي، الجزائر.

wardashal@gmail.com

د. لقمان شاكر، جامعة أم البواقي، الجزائر.

chaker.lokmane@gmail.com

تاريخ التسليم: (2019/12/27)، تاريخ المراجعة: (2020/06/03)، تاريخ القبول: (2020/08/26)

Abstract :

ملخص :

Ibn Al-roumi is one of the Abbasid poets. His personality, poetry and his style were and are still topics for study and investigation. His works are translated, cited and/or referred to directly or indirectly in almost recent works that are written about the Abbasid era. This is due to his status and his poetic talent. This study is an attempt to investigate and to analyse some different views about Ibn Al-roumi' works and about his poetic talent and style depending on his divan as a source of evidence. After analysing the obtained results, we found that:

There are positive and negative views about Ibn Al-roumi.

Ibn Al-roumi is considered to be the most famous and talented poet, who has a sharp style in satire.

Many scholars and researchers praised his proficiency of description and the variety and the beauty of his descriptions.

Some of scholars asserted that in his poetry, Ibn Al-roumi uses the prose in his poems, and that his poetry, most of the time, is empty of allusions.

Some scholars see that Ibn Al-roumi uses logic and imagination in his poems, and this is because of his origin. They called this: "The Greek Genius".

Key Words: Ibn Al-roumi, Poetry, scholars' views, old critics, modern critics

ابن الرومي من الشعراء الذين كثر حولهم الجدل قديما وحديثا، وسال حبر الكثير من الدارسين حول شخصيته وشعره وأسلوبه، فقد ألفت فيه وشعره الكتب الطوال، كما لا يكاد يخلو كتاب من الكتب الحديثة التي ألفت حول العصر العباسي من ذكر ابن الرومي؛ إشارة أو ترجمة أو استشهادا بشعره وذلك لمعرفة قدره وشاعريته، وسيعرض المقال أهم آراء الدارسين قديما وحديثا حول ابن الرومي وشعره مع تحليلها ودرسها اعتمادا على ديوانه بوصفه مصدرا وشاهد إثبات للشاعر. وقد توصل المقال بعد التحليل والدراس إلى جملة من النقاط أهمها: تعددت آراء الدارسين وتنوعت حول ابن الرومي بين الإيجابية والسلبية. ووُصف ابن الرومي بأنه صاحب هجاء مقذع وأنه المتقدم في هذا الفن. كما أشادوا ببراعته في الوصف وتنوع أوصافه وجمالها. وهناك من الدارسين من وصف شعره بالميل إلى النثر وخلوه من الإيحاء في كثير من الأحيان. وهناك من نسب تفرد شعره وفلسفته له ولجوؤه إلى المنطق ويعد خيالاته وتنوعها إلى أصله الذي ينحدر منه، وهو ما أسموه بالعقريّة اليونانية. وسيفصل المقال في كل ما سبق.

الكلمات المفتاحية: ابن الرومي، شعر، آراء الدارسين،

نقاد قداماء، نقاد محدثين

مقدمة:

يعد ابن الرومي (221هـ - 283هـ) أميراً من أمراء الشعر العباسي؛ وذلك بما يحتويه ديوانه من كثرة وتنوع في الأغراض والبحور والقوافي وحتى في المعاني المتطرق إليها؛ لذا كثرت حوله الدراسة وجعل شعره النقاد قديماً وحديثاً يكتبون حوله. فكيف كانت دراستهم للشاعر وشعره؟ وما هي أهم الآراء النقدية التي خلصوا إليها؟

سيحاول المقال الإجابة على هذه التساؤلات عارضاً أهم الآراء النقدية حول الشاعر سواء السلبية أو الإيجابية مركزين على الآراء التي تدور حول شخص ابن الرومي: الإنسان والشاعر، متكئين في ذلك على آراء أشهر النقاد في العصرين: القديم والحديث، من أمثال: ابن خلكان وابن رشيق والمعري والعقاد وبروكلمان وطه حسين، وغيرهم من الدارسين، مع مناقشة هته الآراء ونقدتها استناداً إلى ديوان الشاعر وحياته الخاصة.

وعليه فالمقال يهدف إلى تسليط الضوء على أشهر الآراء النقدية حول ابن الرومي، وتمحيصها بعد الغرلة النقدية للخروج منها بما هو حقيقة وما هو مبالغ فيه إضافة إلى بعض الأخبار المغلوطة حول الشاعر وكثرة دورانها جعلها في خانة الحقائق، ولم يهمل البحث آراء النقد المعاصر حول الشاعر وإن كان ركز على النقد التراثي والنقد الحديث كما أننا طعمنا المقال بآراء بعض الدارسين المعاصرين، كما تمت الإشارة لبعض الأسماء التي درست ابن الرومي، أمثال: إحسان عباس وشوقي ضيف وخفاجي وخليل شرف الدين. ولأن الدراسة عبارة عن مقال محدد عدد صفحاته كان علينا اختيار الآراء التي سننتاولها بالدرس، وبما أننا أمام شاعر كبير فالأكيد أن الآراء حوله كثيرة ومتعددة.

فما الذي قيل حول هذا الشاعر صاحب أضخم ديوان في الشعر العربي قديمه وحديثه؟

2. ابن الرومي في النقد القديم: ابن الرومي شاعر مكثر؛ وصف فأبدع، وتغزل فأحسن، ومدح فعلا وسما بممدوحه، ورثى فأبكى، وتغنى فأطرب، وهجا فأقذع، وأدخل رثاء المدن ووصف المأكَل إلى الشعر العربي، فكان ممن استحدثوا هذا الفن و قد « أشاد به أدباء الشعر الحديث وعدوه شاعر الفن والتصوير في الشعر العربي» (خفاجي، محمد عبد المنعم. 2004. ص212).

وعلى الرغم من كل ما امتاز به إلا أن هناك من المؤلفات القديمة لم تترجم له ولا أتت على ذكره حتى، مثلما يجد القارئ في طبقات الشعراء لابن المعتز، وكتاب: الشعر والشعراء لابن قتيبة وكلاهما معاصر لابن الرومي.

2. 1 ابن المعتز (247هـ - 296هـ): معاصر لابن الرومي ومع ذلك لم يذكره في كتابه (طبقات الشعراء)، ويرجع كارل بروكلمان السبب إلى: أن (ابن المعتز) كان حانقا عليه لأنه هجا والده، يقول: « ثم أخذ يهجو كبار زمانه، فلم يبق على الخليفة المعتز نفسه، حين افتضح أمره بالخضوع والاستسلام لسليمان الطاهري، ولما تنازل المعتز على الخلافة سنة (255هـ/829م) اجترأ ابن الرومي فأنذره وحذره من معاودة الأمل في الخلافة، وذلك قوله:

دَعِ الْخِلَافَةَ يَا مُعْتَزُّ مَنْ كَتَبَ
فَلَيْسَ يَكْسُوكَ مِنْهَا اللَّهُ مَا سَلَبَا»

(بروكلمان، كارل. 1993. ج1/364).

ويذهب غير واحد من الباحثين إلى هذا الرأي، مثل: إحسان عباس، يقول: «شخص واحد لم يستطع ابن المعتز أن يوسع له مكانا في كتابه، وذلك هو ابن الرومي لأن هذا الشاعر كان قد هجا أباه» (عباس، وإحسان. 2006. ص105). وهو أمر بديهي أن يسقط من كتابه من هجا والده وكثيرا من الأمراء العباسيين.

أما كونه يتجرأ على الخلفاء - كما قال بروكلمان - فهو أمر يجب النظر فيه، فابن الرومي لم يهجُ المعتز إلا بعد أن عزل، ثم إنه لم يهجُ الخلفاء مباشرة، وإنما هجا عمالهم وطالب الخلفاء بإقالتهم من مناصبهم كما هو الأمر مع محمد بن طاهر وسليمان بن عبد الله بن طاهر، فهو لم يهج خليفة صراحة وهو في الحكم، يقول: [الكامل] (ابن الرومي. 1998. ج1/265-266)

لَا أَقْدَعُ السُّلْطَانَ فِي أَيَّامِهِ خَوْفًا لِسُطُوتِهِ وَمَرَّ عِقَابِهِ
وَإِذَا الزَّمَانُ أَصَابَهُ بَصُرُوفِهِ حَادَرْتُ رَجْعَتَهُ وَوَشَكَّ مَتَابِهِ
وَأَعْدُ لُوْمًا أَنْ أَهَمَّ بَعْضُهُ إِذَا قَلَّتِ الْأَيَّامُ مِنْ أَنْيَابِهِ

وهجاؤه الخلفاء ليس لشخصهم وإنما لأفعال لم ير فيها الصواب. فقد مدحهم لما استحسنت أفعالهم من ذلك مدحه المعتضد وأخيه الموفق لما قضى على حاكم الزنج، يقول في المعتضد: [الطويل] (ابن الرومي. 1998. 2/175)

هَنَيْتَا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ إِمَامَكُمْ إِمَامَ الْهُدَى وَالْبَاسِ وَالْجُودِ أَحْمَدُ
كَمَا بِأَبِي الْعَبَّاسِ أَنْشَى مُلْكُكُمْ كَذَا بِأَبِي الْعَبَّاسِ أَيُّضًا يُجَدُّ
إِمَامٌ يَظَلُّ الْأَمْسَ يَعْمَلُ نَحْوَهُ تَلَهَّفَ مَلْهُوفٍ وَيَشْتَاقُهُ الْعَدُوُّ

وقال فيه أيضا: [الخفيف] (ابن الرومي. 1998. 5/106)

أَقْبَلْتُ دَوْلَةً هِيَ الْإِقْبَالُ فَأَقَامَتْ وَزَالَ عَنْهَا الرُّوَالُ
دَوْلَةٌ لَيْسَ يُعَدَّمُ الدَّهْرُ فِيهَا بَاطِلٌ مُزْهَقٌ وَحَقٌّ مُذَالُ

ويرى إحسان عباس أن سبب إغفاله له كان «تحاشيا من التورط في الخروج عن خطة التقريض الانطباعي، وهو أسلم من إدراجه في الكتاب» (عباس، إحسان. 2006. ص105). ويقصد بالتقريض الانطباعي: أن ابن المعتز كان يحكم على شعر الشاعر بأنه حسن كله، انطلاقا من حكم ذوقي انطباعي «وهو في ظل هذه التأثيرية الخاصة التي تتخذ من الذوق الذاتي أساسا للحكم على الشاعر، يستطيع أن يترجم لشعراء من هجائي أسرته من أمثال دعبل وأن يهمل غيرهم من أمثال ابن الرومي» (ابراهيم عبدالله أحمد عبد الجواد. ابن الرومي في التراث النقدي والأدبي. 1985. ص8).

وهناك رأي آخر يذهب إليه عبد المنعم خفاجي وهو أن سبب عدم ذكر ابن المعتز لابن الرومي في طبقاته: أن هذا الأخير كان يحب المستعين والمهتدي ويكره المعتز، كما أنه كان معتزليا وابن المعتز سنيا (خفاجي، محمد عبد المنعم، 2004. ص 80).

ولنقف قليلا عند هذا الرأي وبالأخص نقطة الخلاف المذهبي، فالشاعران عاشا في عصر تعددت فيه المذاهب والملل والنحل وكاد الحابل يختلط بالنابل؛ إذ شاعت الكثير من المسائل الخلافية والتي أوصلت بأصحابها - في الكثير من الأحيان - حد العدا، بل: حتى أن هناك من كان يخفي اعتقاده المذهبي إذا كان مخالفا للخليفة أو حاشيته، ومسألة أحمد بن حنبل شهيرة في هذا الباب. أما مسألة أنه: يجب هذا ويكره هذا، توحى أن الأمر عند ابن الرومي مزاجي، والكثير من أشعاره تبين أنه يهجو من في الحكم تبعا للمواقف التي يتخذونها، فقد هجا (سليمان بن طاهر) حاكم بغداد لأنه بعث بالوائق للأتراك لما قرروا عزل المعتز وهذا في نظره خيانة لعهد الخليفة وغدر به وذلك قوله: [السريع] (ابن الرومي، 1998. 8/6)

جَاءَ سُلَيْمَانُ بَنِي طَاهِرٍ فَاجْتَا حُ مَعْتَزَ بَنِي الْمُعْتَصِمِ
كَأَنَّ بَغْدَادَ لَدُنْ أَبْصَرَتْ طَلَعَتْهُ نَائِحَةٌ تَأْتِيهِمْ
مُسْتَقْبِلٌ مِنْهُ وَمُسْتَدْبِرٌ وَجْهَ بَخِيلٍ وَقَفَا مِنْهُزِمِ

والمتتبع لسيرة الشاعرين يلاحظ أن الأسباب تتعدد؛ منها: الفارق الاجتماعي بينهما، فابن المعتز سليل أسرة الخلافة بينما ابن الرومي مولى من الموالى؛ فقد سئل ابن الرومي: لم لا يشبه تشبيهات ابن المعتز، فطلب من سائله أن يسمعه بعضا من هذه الأشعار، فلما سمعها قال: واغوثاه! من لي بمثل هذه التشبيهات، ذلك إنما يصف ماعون بيته. ومنها السن أيضا فابن الرومي أسن من ابن المعتز، ثم إن العصر الذي عاشا فيه كان عصر اضطرابات وتصارع على السلطة وتكالب على المراكز وقتل للخلفاء، ولعل ابن المعتز كان منشغلا بما يدور في قصر الخلافة من قتل وتقتيل وعزل وتولية أكثر من انشغاله بشعراء عصره.

2. 2 ابن قتيبة (213هـ-276هـ): أما الحديث عن ابن قتيبة فإن المتصفح لكتابه (الشعر

والشعراء) يجد أنه لم يترجم للكثير من معاصريه كأمثال البحرني وابن المعتز وابن جهم، وقد علل لذلك في خطبة الكتاب بقوله: « وكان أكثر قصدي المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما من خفي اسمه وقل ذكره وكسد شعره وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص، فما أقل ما ذكرت من هذه الطبقة إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل، ولا أعرف لذلك القليل أيضا أخبارا، وإذ كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمى لك الأسماء لا أدل عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجاد أو يستغرب» (ابن قتيبة، 2005. ص 9)

وبالنظر في قول ابن قتيبة يلاحظ أنه قد احتج على عدم ترجمته لبعض شعراء عصره بحجتين تحتاجان إلى نظر:

حجته الأولى: بأن ترجمته كانت لمن يحتج بأشعارهم في اللغة، وهي قاعدة عامة وقف عندها علماء اللغة، فتوقف الاستشهاد عند ابن هرمة (ت176هـ) ولم يستشهدوا بشعر المولدين. فإن كان الأمر كذلك فلم وقف على أخبار أبي نواس وأبي العتاهية، وحامد عجرد والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد وأشجع السلمي وغيرهم ممن عاشوا في العصر العباسي الأول وهم من المولدين الذين لا يُستشهد بشعرهم ؟

أما حجته الثانية: أنه لم يورد أخبار الشعراء المغمورين في عصره؛ وذلك قوله: « من خفي اسمه وقل ذكره وكسد شعره، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص ». وهذه حجة تحتاج الوقوف عندها؛ فالبحتري كان شاعر المتوكل لما يقارب العشرين سنة وقد ذاع صيته في الآفاق ولا يوجد من لم يسمع به ومع ذلك لم يترجم له. وابن الرومي هو شاعر العامة والخاصة وصل صيته إلى الناس في الأسواق وإلى الخلفاء في البلاط- رغم أنه لم يتصل بهم- ويحتج المازني عن شهرته بأدلة عدة يقول: « ولسنا نظن أنه كان من الخمول وغموض الحال بحيث لم ينتشر به صوت إليهم [يقصد الخلفاء الذين عاصروهم] فقد كان مولى رجل من العباسيين وكان متصلاً بالوزير أبي الحسن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد (المازني، عبد القادر. 1976. ص265-266) ثم يستدل بما أورده صاحب (مروج الذهب) من أخبار عن أشعار ابن الرومي في مجلس المكتفي.

ولم يستشهد ابن قتيبة بشعر ابن الرومي في كتابه الآخر (عيون الأخبار) رغم أنه أورد الكثير من شعر أبي تمام وبشار وأبي نواس، فالمتصفح للمجلدات الأربع لعيون الأخبار ويدقق في فهرس الشعراء والقوافي وحتى أسماء الأعلام لا يجد لابن الرومي ولا بيتاً واحداً. ولعل ذلك يعود لما أشتهر عن ابن قتيبة من تقوى ودين جعلاه يحجم عن الاستشهاد بابن الرومي لأنه كان يقذف في الهجاء ويفحش القول. ومع هذا فقد ذكره دارسون آخرون وأشادوا به وبشعره، كما ذكروا طرائقه وأكثرها من الروايات حوله.

2. 3. المرزباني (ت384هـ): يقول عنه في الموشح: « أشعر أهل زمانه بعد البحتري، وأكثرهم شعراً وأحسنهم أوصافاً، وأبلغهم هجاءً وأوسعهم افتناناً في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه، يركب من ذلك ما هو صعب متناول على غيره [...] وهو في الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره غزارة قول وخبث منطوق ». (المرزباني. 1995. ص376).

وعند التأمل في قول المرزباني يلاحظ أن كلمة (أشعر) هنا لا تفيد الكثرة - إذ عبر عن الكثرة بقوله: وأكثرهم شعراً- وإنما عنى بها نوعية الشعر؛ فشعر البحتري أكثر خيالاً وأميل إلى الإيحاء منه إلى التقرير على عكس ما قد يجد القارئ في الكثير من شعر ابن الرومي. فإذا أجري سباق لشعراء القرن الثالث الهجري لكان ابن الرومي في المرتبة الثانية بعد البحتري.

أما حديثه عن الوصف عند ابن الرومي فهي شهادة أقر بها الكثيرون إذ عدوه إمام الوصافين « فلم يفته في رسومه لون ولا شكل ولا طعم ولا رائحة ولا صوت؛ إذ كانت حواسه مرهفة، فتكاملت في تلذذها بمتع الحياة، وجمال الوجود[...]. وتكافأت في نفورها من كل قبيح مشنوء كما في الرسوم الكاريكاتورية». (خالد، أحمد. 1977. ص31) وقد أكثر من الوصف وأجاد، فأوصافه تسبح بالمتلقي في دنيا من الخيال وترسم أمامه صور الموصوف. من ذلك ما قاله يصف رياضاً: (ابن الرومي. 1998. 318/3)

إذا شئتُ حينئذٍ رياحينُ جنةٍ على سوقها في كل حينٍ تنفسُ
وإن شئتُ ألّهاني سماعٌ بمثله حمامٌ تغنى في غصونٍ تُوسوسُ
ثلاعبها أيدي الرياح إذا جرث فتسمو وتحنو تارةً فتنگسُ
إذا ما أعارتها الصبا حركاتها أفادت بها أنس الحياة فتونسُ
توامض فيها كلما تلح الضحى كواكبٌ يذكو نورها حين تشمسُ

وقد جعله المرزباني في المرتبة الثانية أمام شعراء عصره في شعره عامة أسلوباً وأغراضاً، والمقدم عليهم في فن الهجاء قولاً وكثرة، ذلك أن ابن الرومي أذع في الهجاء وكثيراً ما كان يلجأ إلى السباب والفحش وذكر أعضاء التناسل والحديث عن النكاح والفرج، وسب المهجو في شرفه أو شرف زوجه أو أمه ولم تنج من سلاطة لسانه أعداؤه مهما كانت مرتبتهم ومكانتهم. وهذا مما عيب عليه وجعل مرتبته تتأخر على كثير من الشعراء، وسبب ذلك كونه صريحاً جداً ولا يكاد يخفي شعوره من جهة ومن جهة أخرى ما شاع في عصره من مجون وفسق جعلاً بداءة اللسان من الأشياء التي تعودت عليها الأذن في ذلك الزمن.

2. 4. أما المعري فيقول عنه: « إن أدبه أكثر من عقله وكان يتعاطى علم الفلسفة»

(المعري. 2000. ص296) ولعل المعري يقصد بقلة عقله: تشاؤمه وطيرته اللذان اشتها عليه، وذلك قول المرزباني: « وكانت به علة سوداوية ربما تحركت عليه فغيرت منه»، وهذا يشير إلى أن به اضطراباً وخللاً نفسياً لا يجعله متوازناً، وقد يدل تناقضه في شعره على هذا الأمر فتجده يمدح ثم يهجو، ويفضل ثم يبغض، من ذلك مثلاً مدحه ابن بلبل بقوله: [الطويل] (ابن الرومي. 1998. 274/4)

رَجَتْ نَفْسِي سَبَقَكَ الْغَيْثُ بِالْندَى فَحَمَّ قَضَاءُ اللَّهِ لِلْغَيْثِ بِالسَّبْقِ
فَكُنْ ثَانِيًا لِلْغَيْثِ إِذْ كَانَ بَادِيًا وَلَا تَسْبِقِ الشَّارِبِينَ يَا وَاحِدَ الْخَلْقِ
وَلَا تَمْتَعِصْ أَنْ سَبَقَ الْغَيْثُ مَرَّةً فَمَا بَيْنَ ذِي سَبْقٍ وَتَالِيهِ مِنْ فَرْقِ
وَأَنْتَ فَتَبْقَى الدَّهْرَ وَالْغَيْثُ يَنْقُصُ وَتَنْهَلُ بِالْجَدْوَى وَيَنْهَلُ بِالْوَدْقِ

ثم يعود فيهجوه بالرؤي نفسه قائلاً: [السريع] (ابن الرومي. 1998. 273/4)

صَبْرًا أَبَا الصَّفْرِ فَكَمْ طَائِرٍ خَرَّ صَرِيحًا بَعْدَ تَخْلِيْقِ
رُوجَتْ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَّأَهَا فَصَانَهَا اللَّهُ بِتَطْلِيْقِ

وَكُلُّ نُعْمَى غَيْرَ مَشْكُورَةٍ زَهْنُ زَوَالٍ بَعْدَ تَمْحِيقِ
لَا قَدَسَتْ نِعْمَى تَسْرِبْلَتِهَا كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا الزَّنْدِيقُ

ومن تناقضه أيضا مدحه الشطرنج ومدح لابعه، ثم عاد عليه بهجاء (ينظر: ابن الرومي. المدح 119/5، الهجاء ج5/120)، ومن ذلك أيضا مدحه الحقد، وهجاؤه إياه، يقول مادحا الحقد:
[الطويل] (ابن الرومي. 1998. 24/4)

لئن كُنْتُ فِي حِفْظِي لِمَا أَنَا مُودِعٌ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ انْتَحَيْتُ عَلَى عِزِي
فَمَا عَيْبَتِي إِلَّا بِمَا لَيْسَ عَائِي وَكَمْ جَاهِلٍ يَزِي عَلَى خَلْقٍ مَخْضِ
وَمَا الْحِقْدُ إِلَّا تَوَامُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى وَيَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبِينَ إِلَى بَعْضِ
فَحيثُ تَرَى حِقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حُسْنِ الْقَرْضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رِبْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ مِنَ الْبَدْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ
وَلَا عَيْبٌ أَنْ تُجْزَى الْقَرْضُ بِمِثْلِهَا بَلِ الْعَيْبُ أَنْ تَدَانَ دَيْنًا وَلَا تَقْضِي
وَخَيْرُ سَجِيَّاتِ الرَّجَالِ سَجِيَّةٌ تُوفِيكَ مَا تُسْدي مِنَ الْقَرْضِ بِالْقَرْضِ

يقول محمد عبد المنعم خفاجي: «وما سمعنا أحدا احتج للحقد قبل هذا العصر، ولعل أول من حاول ذلك عبد الملك بن صالح بن علي بين يدي الرشيد، وكان يجد عليه ويتهمه بالتطلع إلى الخلافة، فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من قدره تقريبا إلى الرشيد، فقال: يا عبد الملك، بلغني أنك حقد. فقال عبد الملك: إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر، إنهما لباقيان في قلبي. فقال الرشيد: تالله ما رأيت أحدا احتج للحقد بأحسن مما احتج عبد الملك» (خفاجي، محمد عبد المنعم. 2004. ص 61).

وقد قام ابن الرومي بهجاء الحقد قائلا: [البيسط] (ابن الرومي. 1998. 463/1).

يَا مَادِحَ الْحِقْدِ مُحْتَالًا لَهُ شَبَهَا لَقَدْ سَلَّحْتَ إِلَيْهِ مَسْلَكًا وَعِثَا
لَنْ يَقْلِبَ الْعَيْبُ زَيْنًا مِنْ يُرِينُهُ حَتَّى يَرُدَّ كَبِيرًا عَائِيَا حَدَثَا
يَا دَاغِنَ الْحِقْدِ فِي ضَعْفِي جَوَانِيهِ سَاءَ الدَّفِينِ الَّذِي أُمَسَّتْ لَهُ جَدْنَا
الْحِقْدُ دَاغٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاعَ لَهُ يَرِي الصُّدُورَ إِذَا مَا جَمْرُهُ حَرْنَا
شَهَدْتُ أَنَّكَ لَوْ أَذْنَيْتَ سَاعَكَ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ حَقُودًا صَدْرُهُ شَرْنَا
إِذَنْ وَسَرَّكَ أَنْ يَنْسَى الدُّنُوبَ مَعَا وَأَنْ تُصَادِفَ مِنْهُ جَانِبًا دَمْنَا
فَكَيْفَ تَمْدَحُ أَمْرًا أَنْتَ تَكْرَهُهُ فَكُنْ هُدَيْتَ تَمِيزَ كُلِّ مَا اغْتَلْنَا

وإن كان هذا يدل على تناقض فيه، فهو من جهة أخرى يدل على براعته وقوة حجته، وسعة فكره. ويهجو من مدح بقوله: [الكامل] (ابن الرومي. 1998. 268/4).

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَقْبَلُونَ مَدَائِحِي وَيَأْبُونَ تَنْوِيْبِي وَفِي ذَلِكَ مُعْجَبٌ
أَشْعِرِي سَفْسَافًا فَهُمْ يَجْتَبُونَهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَاتِي فَلِمَ لَا أُتُوبُ

ويقول في السياق ذاته أيضا:

مُسْخُوا كِلَابًا غَيْرَ ذَاتِ خَلَاقٍ	قُلْ لِلَّذِينَ مَدَحْتُهُمْ فَكَانَمَا
فِيكُمْ بِلَا حَقٍّ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ	رُدُّوا عَلَيَّ صَخَائِفًا سَوَّدَهَا
لَوْلَا اتِّهَامِي ضَامِنَ الْأَرْزَاقِ	مَا كَانَ مِثْلِي مَا دَبَّحًا أَمْثَالَكُمْ
فَبَلَّغْتُمْ مِنِّي رِضَى الْخَلَاقِ	أَسَخَطْتُ خَلَاقَ الْبَرِيَّةِ فِيكُمْ
حَرَمَ الرُّمَاءَ الصَّيْدِ بِالْإِعْرَاقِ	أَعْرِقْتُ فِي نَزْعِي لَكُمْ وَلَرِيمًا

ويتحدث كثير من الدارسين عن هذا الاضطراب والاختلال في التوازن الذي ربما يكون قد أصاب ابن الرومي في أواخر حياته نظرا لما ألم به من مصائب، من ذلك ما قاله عبد الفتاح نافع: « واختلف النقاد في هذا الاضطراب فأعادوه إلى حساسيته المفرطة وقلة حيلته، وإلى صدمات الخيبة وسوء الظن وعجزه عن التكيف على مقتضى الأحوال التي يعيش في ظلها، وأعادوه إلى النقص الذي كان يشعر به وإلى عجزه في إثبات ذاته، في حين رأى آخرون أنه يمثل قلقه من المصير الإنساني وضجره من الناس». وقد أشار العقاد إلى هذا الاضطراب وشرح سببه إذ يقول: « فقد يجتمع العنف العصبي والوداعة العصبية في إهاب واحد، وقد يعنف اللطيف ويلطف العنيف حسبما يطرأ عليهما من الطوارئ، [...] ويحتاج الأديب أحيانا إلى هذا التناقض كما يحتاج إلى استحضار الإحساس في غير أوانه، أو يحق لنا أن نقول: إن شاعرنا خاصة استفاد من هذا التناقض مضاء وحدة في ملكة السخر... فإن التناقض والمفارقات ألزم لوازم هذه الملكة بعد دقة الملاحظة». (العقاد، 1980، ص105). فالتناقض الذي لون شخصية ابن الرومي الإنسان ظهر على شعره أيضا وجعل يطبعه بهذه البصمة، إذ يصفه الدارسون بأنه لم يمدح شخصا قط إلا وعاد عليه بهجاء، فحتى الأشياء التي يرى فيها الناس العاديين جمالا كالورد -مثلا- هجاه ابن الرومي. وكل ذلك قد يعود إلى ما لاقاه في حياته الخاصة من مصائب، وما لاقاه من المجتمع من نكران.

ويقول في الخلان وسبب ابتعاده عنهم ونفض يده منهم: [الطويل] (ابن الرومي.

الديوان، 411/1).

وظول اختباري صاحبا بعد صاحب	وزهدني في الناس معرفتي بهم
بواديه إلا ساءني في العواقب	فلم ترن الأيام خلا يسرني
من الدهر إلا كان إحدى النوائب	ولا صرت أدعوه لدفع ملمة

وهذه الأمور النفسية من ضغط وحزن واكتئاب، وعدم شعور بالانتماء-كما يقول العقاد- كلها تولد في الجسم مرضا عضويا ومرضاً نفسياً؛ إذ أن الأطباء قد آمنوا منذ القدم بالعلاقة بين بعض الأمراض وبعض الأمراض، وهكذا فإن ما يسمى بالنموذج الداخلي (modèle endogène) والذي يعني أن المرض ينطلق من داخل الفرد، ويفرض التفسير الداخلي نفسه كسبب للمرض في بعض الإصابات (بومدين، سليمان. مارس 2009، ص142) والذي ينتج عنه الكثير من الأمراض حتى السرطانات، وفي

حالة شاعرنا هي حالة من الاكتئاب والحزن الحادين أو هو ما يسمى بذهان الهوس الاكتيابي (lapy chose maniaco) ويعرف بـ « خاصة السوداوية، التي يعتبرها الأطباء النفسانيون "ذهانا داخليا" ناجما عن اضطراب في الضبط الداخلي، مما ينجر عنه اضطرابا في وتيرات بيولوجية أخرى (كالتنفس، والعمل والراحة، المزاج... الخ) مما يؤدي إلى حدوث حالات من الإثارة والاكتئاب غير المتناسبتين مع ظروف البيئة» (بومدين، سليمان. مارس 2009. ص143)، وتركز الحيوية الطبية (le vitalisme médical) على فكرة « أن الأمراض لا يمكن حصرها وعزلها، فهي ناجمة في اختلال في التوازن العام ويجب أن تفهم في إطار خصوصية كل فرد» (بومدين، سليمان. مارس 2009. ص143)، وهذا يوضح أنه لا يمكن وضع حالة ابن الرومي بموازاة غيره من الأدباء؛ ذلك أن لكل واحد ظروفه الخاصة ونفسيته الخاصة بالدرجة الأولى.

2. 5. ابن رشيق:(ت451هـ): المتصفح لكتاب العمدة يجد أخبار ابن الرومي منثورة على

الكثير من صفحاته، فتارة يورد أخباره، وأخرى ينقد شعره مبديا رأيه فيه، ونورد بعض هذه الأقوال: « وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر، لكثرة اختراعه وحسن افتنانه، وقد غلب عليه الهجاء [...] وأنا أقول: إن أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه-إن شاء الله سبحانه- ولا بد ها هنا من نبذة يسيرة أشغل بها الموضوع، منها قوله:

عَيْنِي لِعَيْنِكَ حِينَ تَنْظُرُ مَقْتُلٌ لَكِنَّ لَحْظَكَ سَهْمٌ حَتْفٍ مُرْسَلٍ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ مَعْنَى وَاحِدًا هُوَ مِنْكَ سَهْمٌ وَهُوَ مِنِّي مَقْتُلٌ»

(ابن رشيق القيرواني. 1981. 244/2).

ثم يورد أبياتا في العتاب، وأخرى في الوصف والغزل، وله أقوال في لغته وأسلوبه وعروضه، وكذا طيرته وموته.

والناظر إلى قول ابن رشيق يلاحظ أنه يميل إلى ابن الرومي على عكس ما كان من رأي المرزباني والمعري؛ فهو يفضل على الشعراء ويرى أنه (الأولى باسم شاعر) هذه الكلمة التي تحمل معان عدة ولا يمكن أن تطلق إلا على الشاعر الفذ.

كما أنه أورد في كتابه عبارات مثل: « ولم أسمع أحسن منه في معناه» (ابن رشيق القيرواني. 1981.

245/2). إشارة إلى بعض شعر ابن الرومي، وهو حكم ذوقي تغلب عليه العاطفة، إذ لم يفسر سبب

تفضيله للأبيات مما قد يجذب المتلقي من عروض وبلاغة ولغة إلا أن معناه حسن، وما يلفت النظر

أيضا أن ابن رشيق قد اعترم أن يؤلف كتابا حول ابن الرومي، أو على الأقل يدرس شعره، وهو ما عبر

عنه بقوله: (إن ابن الرومي أكثر الشعراء اختراعا وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه-إن

شاء الله سبحانه) والسؤال المطروح: إن كان لم يصل إلى يد القارئ اليوم هذا الكتاب هل ألقه صاحبه

وضاع فيما ضاع من الذخيرة العربية، أم لم يطل به العمر لينجز ما اعترم عليه؟

2. 6 ابن خلکان (608-681هـ): يقول عن ابن الرومي: «الشاعر المشهور صاحب النظم

العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية... وله القصائد المطولة والمقاطع المبدعة، وله في الهجاء كل شيء ظريف، وكذلك في المديح» (ابن خلکان. (د.ت). م 58/3).

يصفه ابن خلکان بقوله (الشاعر المشهور) وهذا يدل على أن صيت ابن الرومي ذاع في القرون التي تلتها، حتى وإن كان مغمورا في زمنه فإن إبداعه ونظمه العجيب وتوليده الغريب كما وصفه صاحب وفيات الأعيان جعلنا شعره يخلده على صفحات التاريخ، ويلاحظ أيضا أنه لم يستهجن هجاءه بل وصفه بالظريف، وهذا يشير إلى أن بُعد الفترة الزمنية يؤدي إلى تغير الآراء ولا يكون هناك توجيه فكري مسيطر، بل تظهر مساحة من الحرية الفكرية في الحكم على التراث الفكري والأدبي ولا يتأثر الناقد بمحيط الشاعر ومجتمعه لأنه بعيد زمنيا عن تلك الحقبة وكل ما باستطاعته السيطرة على أفكار أصحابها.

3. رأي المحدثين في ابن الرومي:

3. 1 كارل بروكلمان (Carl Brockmann) (1868-1956) يقول: « وشعر ابن الرومي أقل طنطنة ودويا من شعر المتنبّي، ولكنه أبيض وأدلق، [...] وأول هجائه هو ما قاله في القحطبي الشاعر [...] وكان من مشاهير الهجائين ببغداد [...] وفن ابن الرومي يعتمد في المرتبة الأولى على العيان والمشاهدة، فهو يلمح بالنظرة الحادة النقائص والعيوب الجسمانية على وجه الخصوص عند خصومه، فيصوغها في هجاء مرير لاذع» (بروكلمان، كارل. 1993/1. 164-165)، وعند تأملنا في أقوال بروكلمان نتساءل: ماذا يقصد بالطنطنة؟ جاء في لسان العرب: «الطنطنة كثرة الكلام والتصويت به» (ابن منظور. 1997. ج 13/269) والطنطنة: صوت الذباب، والملاحظ أنه يشير إلى فخامة شعر المتنبّي وكذا قوته وجراته في طرح المواضيع التي جعلت شعره يدور على الألسن، وكذا جزالة شعره وفخامته، عل عكس شعر ابن الرومي الذي كان ينحى به إلى التقرير أكثر وكانت كل طننته في الهجاء؛ حيث أذع وفحش كما هو مسجل على صفحات ديوانه.

وأما قوله: بأن أول من هجا خالد القحطبي، فهذا كلام مغلوط، فقد أوردت المصادر أن ابن الرومي هجا غلاما عباسيا هاشميا يسمى جعفرا لما كان فتى في الكتّاب، وذلك قوله: [المتقارب] (ابن الرومي. 1998. 91/2).

بِ فَمَا فِيكَ مِنْ خُلَّةٍ تُمَدِّحُ	أَجْعَفَرُ حُرْتُ جَمِيعِ الْغُيُوثِ
يَخِيلُهُ بِالضُّحَى صَحَّاحُ	كَلَامِكَ أَكْذَبُ مَنْ يَلْمَعُ
وَرُوحِكَ مِنْ هَضْبَةِ أَرْجَحُ	وَحُلْمِكَ أَطْيَشُ مِنْ رِيَشَةِ
قِي فِي مَقَلَّتِي عَاشِقٌ أَفْبَحُ	وَوَجْهِكَ مِنْ وَجْهِ يَوْمِ الْفِرَا
وَلَا فِي مَمَاتِكَ لِي مَتْرَحُ	فَمَا فِي حَيَاتِكَ لِي مُفْرَحُ

وابن الرومي بصري بالدرجة الأولى فهو يستعين بحاسة البصر في رسم مشاهدته ويصورها أيما تصوير سواء كان هجاء أو وصفا أو مدحا أو غزلا، إذ يغلب عليه الجانب الوصفي في كل شعره وليس الهجاء فقط كما قال بروكلمان.

3. 2 العقاد: يعد العقاد من أوائل الكتاب المحدثين الذين ألفوا حول ابن الرومي وأفرد له كتابا درس فيه شعره دراسة نفسية، وحاول أن يحلل شخصيته من خلال شعره، فعد كتابه مصدرا يعود إليه الدارسون لشعر ابن الرومي حتى إن كلا من المازني وطه حسين وبروكلمان قد عاد إليه قبل أن يكتب حول ابن الرومي ودليل ذلك تعليق ذكره المازني في كتابه وهو قوله: «وتعجبني كلمة للعقاد في شعر ابن الرومي بالعلاقة بين تبرج الأزهار وتبرج النساء». (المازني، 1976. ص 275). أما طه حسين فقد علق في آخر مقاله حول ابن الرومي؛ والذي يحتويه كتابه (من حديث الشعر والنثر) تعليقين، واحد حول ما قال العقاد والثاني يخص ما قاله المازني. كما يشير بروكلمان إلى ما كتبه العقاد حول ابن الرومي.

والممتنع لما كتبه العقاد يجد أن الكتاب لا يترك شاردة ولا واردة تتعلق بابن الرومي إلا وذكرها مستعينا بالمصادر ومستشهدا بشعر الشاعر حتى إن دراسته النفسية المعقدة جعلته يخرج بصورة حياة- كأن الكاميرا التقطتها لابن الرومي- عائدا في ذلك إلى شعره. يقول واصفا ابن الرومي وصفا ماديا: «كان ابن الرومي صغير الرأس مستديرا أعلاه، أبيض الوجه يخالط لونه شحوب في بعض الأحيان وتغير، ساهم النظرة باديا عليه وجوم وحيرة، وكان نحيلًا بين العصبية في نحوله، أقرب إلى الطول أو طويلا غير مفرط، كث اللحية أصلع بادر إليه الصلع والشيب في شبابه، وأدركته الشيخوخة الباكرة فاعتل جسمه وضعف نظره وسمعه، ولم يكن قط قوي البنية في شبابه ولا شيخوخته [...] كان إذا مشى اختلج في مشيته ولاح للناظر كأنه يدور على نفسه أو يغربل، لاختلال أعصابه واضطراب أعضائه». (العقاد، 1980. ص 88).

فهذه خلاصة الصفات الجسمية التي توصل إليها العقاد من خلال قراءته لشعر ابن الرومي وقد استشهد لكل صفة منها بما قاله الشاعر عن نفسه فكان شعره بمثابة ترجمة خاصة لحياته كما كان كتاب تاريخ عصره.

وكتاب ابن الرومي للعقاد مصدر مهم لكل دارس لهذا الشاعر أو لعصره، إذ إن العقاد تعمق فيه بالدريس والتحليل والتعليق، شارحا ومستدلا بالأراء النفسية، يقول: «كان شاعر النقائض في عصره، وكان شاعر الفطنة [...] في عصر الرياء المضحك أو عصر الاختلاف بين الظواهر والبواطن والبعث الشاسع بين ما هو كائن وبين ما يدعى ويستوجب. فلا جرم يسخر وعناصر السخر في نفسه وفي زمنه! وقدرة السخر في قلبه وفي عقله. [...] ويحتاج الأديب أحيانا إلى هذا التناقض كما يحتاج إلى استحضار الإحساس في غير أوانه، أو يحق لنا أن نقول إن شاعرنا خاصة قد استفاد من هذا التناقض مضاء وحدة في ملكة السخر التي أشتهر بها». (العقاد، 1980. ص 105)

الملاحظ أن العقاد قد غلب على دراسته لابن الرومي الجانب النفسي، وذلك ما فرضته الشخصية في حد ذاتها، فابن الرومي بكل خصائصه النفسية (من اضطراب وتناقض، وطيرة، وسخرية من المجتمع) كل هذه الخصائص تستدعي الغور في شخصية الرجل ومعرفة خباياه النفسية والصحية أيضا، وهذا ما حاول العقاد أن يضع يده عليه أثناء دراسته للشاعر وشعره؛ لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال العزل بين الشاعر وشعره والحكم بموت المؤلف؛ لأنه هو صاحب هذا الإنتاج. والشعر شعور يخضع للحالات النفسية والظروف الشخصية للشاعر، وإلا لا تجده يمدح ثم يهجو الشخص عينه إلا ووراء ذلك سبب.

3.3 المازني: تحدث عن ابن الرومي في كتابه (حصاد الهشيم)، ويرى أن سبب تقدمه في

مجاله هو أصوله غير العربية وهي النظرة عينها عند (طه حسين) بعده، يقول المازني محتجا على تفضيله غير العرب: « وأنت إذا تأملت شعراء العربية وكتابهم وكبار رجالهم لتعرف منازلهم من العظمة، ومواقعهم من العبقرية، وجدت أولاهم بذلك، وأولهم هنالك، وأسبقهم في استيجاب التعظيم، واستحقاق التقديم، قوما ينتهي نسبهم إلى غير العرب من مثل: بشار بن برد، ومروان بن أبي حفصة، وأبي نواس وابن الرومي[...]. وقد تعلم أن للوراثة أثرا لا يستهان به في تركيب الجسم واستعداد العقل، فليس بمستغرب أن يرث مثل ابن الرومي وهو آري الأصل - فارسي يوناني - كثيرا من شمائل قومه وصفاتهم، وأن يكون في شعره أشبه بهم منه بالعرب». (المازني. 1976. ص 263-264).

ومثل هذا القول في تكبير الآخر وتعظيمه ذهب إليه الكثير من الكتاب في العصر الحديث ممن

أبهرهم بريق الحضارة الغربية وصاروا يستهجنون كل ما هو عربي ويستحقرونه، ويقصدون كل ما له أصول غربية ويستعلونه على غيره. يقول طه حسين: «أريد أن أفنكم إلى الخصائص التي تميز شعر ابن الرومي من الشعر العربي عامة، والتي تظهر فيها آثار طبيعته اليونانية وآثار ثقافته اليونانية». (طه

حسين. د.ت). (ص 136) ويقول في موضع آخر «هذا النحو من التفكير وهذا النحو من معالجة المعاني، وإجراء التفكير فيما ليس من شأنه أن يفكر [يتحدث عن التشخيص والتجسيد] وإطالة هذا التفكير وهذا الحوار من الأشياء التي تدل على أنها نتيجة من نتائج الطبيعة والثقافة اليونانية عند أبي تمام وابن الرومي، وهي هذه الطبيعة التي أنشأت في التمثيل عند اليونان، والتي لم تستطع أن تتصور الشعر الغنائي نفسه كما تصوره العرب على أنه مجرد التعبير عن الآراء المختلفة والميول المتباينة». (طه حسين. د.ت). (ص 138)

ورغم هذه النظرة التي ذهب إليها هؤلاء الكتاب الكبار إلا أنهم هم أنفسهم يستبعدون أن يكون لابن الرومي علم باللسان اليوناني أو الفارسي وأنه صاحب لسان عربي وثقافته العربية الإسلامية في عصره ذلك هي التي سمحت له الإطلاع على المؤلفات المترجمة. كما أجمعوا أنه لم يسافر إلى بلد جدوده ولا احتك بقومه احتكاكا مباشرا فكل ما تزود به من معارف كان من دياره التي سكنها ولا يعرف له مولنا غير بغداد، يقول طه حسين: «وإنما الذي كون عقله وملكته الشعرية هي ثقافته. وهذه الثقافة فيما

يظهر كانت متأثرة جدا بما عرفه المسلمون من الثقافات الأجنبية والعربية، وكانت في الوقت نفسه ثقافة عربية إسلامية». (طه حسين. د.ت). ص136)

ويفسر العقاد مصطلح (العبقرية اليونانية) التي تغنى بها الكثيرون: « فنحن لا نفسر عبقرية الشاعر حين نسميها بالعبقرية اليونانية، ولكننا نصفها في كلمات موجزة وصفا يقر بها إلى الأذهان ويطبوعها بهذا الطابع المعروف عند المطلعين على الآداب. وما من شك في أن الشاعر الذي تحدر من أصل يوناني أيا كان مقره غير الشاعر الذي تحدر من أصل عربي أيا كان مقره، ولكن التقريب بين هذين الشاعرين شيء والقول أن [الأصح لغويا: إن] الشاعر لا يحس هذا الإحساس ولا ينظم هذا النظم إلا إذا كان من أبناء اليونان شيء آخر. فحسبنا أننا نعرف ما نريد حين نذكر العبقرية اليونانية ولا نحاول بعد ذلك الخروج إلى تعليل الأصول والتعسف في تقسيم خصائص الشعوب» (العقاد. 1980. ص206).

فالعقاد يطرح المسألة بموضوعية محاولا إعطاء الحجج المقنعة، مبينا حقيقة الفطرة والاكتساب واضعا حدا للجدل في هذه المسألة وللتوسع أكثر العودة لكتابه والعنوان الذي شرح فيه كل هذا وقد عنوانه بـ (عبقرية ابن الرومي).

العود مرة أخرى إلى المازني وما قاله حول ابن الرومي، وبالإطلاع على المقال في (حصاد الهشيم) يلاحظ أنه تطرق لحياته وفاقته وطيرته، وأشار أيضا إلى ذكره في مجلس الخلفاء وتساءل عن سبب عدم اتصاله بهم، قائلا: « وإنما استكثرتنا من إيراد هذه الأخبار لتعلم أن اسمه كان مذكورا في مجالس الخلفاء وذكره فاشيا على السنة ندمائهم - ولكنه على تصرفه في كل فنون الشعر المعروفة، وإجادته في جميع أبوابه، وكثرة ما سار عنه من ذلك، كان من الفاقة وحقارة الشأن وسقوط الجاه بحيث كان يستجدي من إخوانه الكساء فلا يصيب منه قصاصة». (المازني. 1976. ص267)، ويقول عنه في موضع آخر: « إننا لا نعرف رجلا أصابه ما أصاب ابن الرومي، ولا عظيما تهاون به الناس حيا وميتا إلا هو، على أنه لو لم يكن عظيما وكان من أجلاف عصره وهمجهم، لعجبنا كيف يجوع ويظمأ، ولاستغرنا كيف يخلو عصر من أهل المروءة والأريحية، فكيف وهو أشعر زمانه والموفى على أقرانه؟» (المازني. 1976. ص268)

فهو يرى أن ابن الرومي عظيم من العظماء بل إنه أشعر أهل زمانه، وهذا ما أقره الدارسون السابقون من مثل: ابن خلكان وابن رشيق - كما تقدم ذكره.

3. 4 طه حسين: تحدث عن ابن الرومي في مقاله الذي طبع لاحقا في كتابه (من حديث

الشعر والنثر) وكان المقال عبارة عن دراسة مقارنة بين أبي تمام وابن الرومي، من حيث الأسلوب والملكة الشعرية وطريقة كل منهما في استقصاء المعاني وتشخيصها، وقد حصر سمات الاختلاف بين شعريهما في نقاط ثلاث، نورد منها ما اختص به ابن الرومي:

1- ابن الرومي شاعر مطيل ومطيل جدا. ويفسر سبب هذه الإطالة من وجهة نظره بقوله: «

فهو يمضي مع أبي تمام في الغوص على المعنى والتفتيش والجد في طلبه حتى يبلغ المعنى الجيد، فإذا

ظفر بهذا المعنى ساء ظنه بالناس في الأدب، كما يسوء ظنه بهم في الحياة العملية. فكما أنه كان يعتقد أن الناس ليسوا أخبارا في معاملتهم، فهو كذلك كان يعتقد أن حظ الناس من الذكاء ليس بحيث يمكنه من أن يطمئن إليهم في فهم المعنى. فهو إذن حريص على أن يتم معانيه بنفسه». (طه حسين. د.ت). ص134

2- باللغة العربية وبالآدب العربي أقل من أبي تمام، ويرى أن ذلك راجع لكون أبو تمام كان كثير الرواية والتعمق فيها، « بينما ابن الرومي لم يعرف عنه تعمق كتعمق أبي تمام في الرواية ولا في اللغة، وإنما كان حظه من هذا كحظ غيره من الشعراء الذين عاصروه. فهو إذن لا يمتاز بكثرة الرواية كما امتاز البحري وأبي تمام، فليس غريبا أن يظهر أثر هذا في شعره، وأن يكون شعره من أسهل الشعر الذي نعرفه في القرن الثالث للهجرة ». (طه حسين. د.ت). ص135

مثل هذا القول مبالغ فيه قليلا، صحيح أن شعر ابن الرومي سهل المأخذ، جلي المعاني، لكنه في كثير من الأحيان يحتاج إلى تعميق الفكر والتأمل ليفهم مقصده، من مثل قول ابن الرومي في قصيدته التي سموها (دكان الفاكهة) إذ اختلط عليهم الأمر هل يصف ثمارا أم يتغزل بنساء ومن براعته جعل الاثنين شيئا واحدا يقول: [البسيط] (ابن الرومي. 1998. 173/6)

أَجَنَّ لَكَ الْوَجْدُ أَغْصَانَ وَكُتُبَانَ فِيهِنَّ نَوْعَانِ تَفَاحٌ وَرُمَّانُ
وَفَوْقَ ذِيكَ أَغْنَابٌ مُهْدَلَةٌ سَوْدٌ لَهْنٌ مِنَ الظَّلْمَاءِ الْأَوَانُ
وَتَحْتَ هَاتِيكَ أَغْنَابٌ تَلُوخُ بِهِ أَطْرَافُهُنَّ قُلُوبُ الْقَوْمِ قِنُونُ
عُصُونُ بَانَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ فَأَكِيهَةٌ وَمَا الْفَوَاكِيهَ مِمَّا يَحْمِلُ الْبَانَ
وَتَرْجَسٌ بَاتَ سَارِي الظَّلِّ يَضْرِبُهُ وَأَفْحَوَانٌ مُنِيرٌ النُّورِ رِيَانُ

ودليل على براعته -أيضا- قول العقاد فيه: أنه كان « يركب القوافي الصعبة ويتعمد رياضته الحروف العصبية، فيذل له أعصاها حتى التاء والخاء والذال والزاي والطاء والغين والهاء وغيرها من الحروف النادرة في الروي الناقصة في شعر أقد الشعراء ». (العقاد. 1980. ص241). وقد قال ابن الرومي الشعر على حروف المعجم جميعا وقلما يوجد ذلك عند شاعر وهذا يدل على اقتداره.

3- أما الناحية الثالثة لاختلاف ابن الرومي وأبي تمام فهي - حسب ما يرى طه حسين - نثرية

شعره يقول: لفظ ابن الرومي غير متين، بل ربما كانت الجزالة والرصانة فيه نادرة، وشعره في هذه الناحية أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ويرى أن سبب قرب شعره من النثر يعود لسببين أولهما: تعمد التفصيل والبسط والإجادة في أداء المعاني التي يريد أن يؤديها، أما السبب الثاني فهو: هذه السهولة في اللفظ والإعراض عن التجويد اللفظي. (طه حسين. د.ت). ص135-136

وبعد هاته المقارنة بين شعر ابن الرومي وأبي تمام يلاحظ أن: طه حسين قد انتصر لأبي تمام على ابن الرومي وفضل عليه مبينا الأسباب مقارنا بين نتاجيهما من زاوية- إن صح التعبير نقول عنها- قاصرة؛ لأن نقده كان كنقد المتقدمين من النقاد العرب كأمثال: النابغة الذبياني والمفضل الضبي

وابن أبي عتيق، والنقد الذوقي عموماً؛ إذ سلط الضوء على الظاهر فنظر إلى طول القصيدة، وثقافة صاحبها وعلمه بالشعر والرواية، كما وصف شعره بأنه يخلو من الإيحاء ويقرب إلى النثر، ومثل هذه الملاحظات وإن كانت صحيحة فهي لم تتعمق في الشعر المُنتقد، فالشعر لا يقاس بعدد أبيياته من حيث الكثرة والقلّة، ولا باشتغال صاحبه بالرواية أو عدمها - وإن كانت الدربة والممارسة ضرورية لصقل موهبة الشاعر - كما يقول ابن سلام - وإنما ينظر إلى الأسلوب وجودته، واللفظ وبراعته، وتبحره في الأغراض، وقوله في ضروب الشعر، وعلمه بالعربية نحواً وعروضاً وبلاغة، ولجوءه للخيال والإيحاء وبعده عن المباشرة وسهولة المعنى، ثم ينظر بعد ذلك إلى ملكته الشعرية وقدرته على الارتجال وتركيب المعاني العميقة والتراكيب الجزلة. وكل هذا لا ينقص ابن الرومي.

ولا نفارق مقال طه حسين حتى نشير إلى أن الأديب أنصف ابن الرومي وذكر بعض ميزات شعره إذ يصفه بقوة الخيال والحس فيقول: « ابن الرومي كان قوي الخيال جداً، وكان خياله بعيداً ليس بالقرب، وكان حاد الحس جداً. وكان قوي الشعور، فكان إذا ألم بمعنى من المعاني تأثر به تأثراً واضحاً » (طه حسين. د.ت). ص137)، فهو لم يهمل خاصية الخيال التي امتاز بها ابن الرومي، وظهرت أكثر ما ظهرت عنده في الوصف سواء كان للطبيعة أو للمهجو، والديوان مليء بالأبيات التي أطرب بها خيال الشاعر المتلقي، من ذلك قوله: [البسيط](ابن الرومي. 1998. 209/6)

حَيْثُكَ عَنَّا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا
بِحَبَّةٍ نَفَحَتْ رُوحًا وَرَيَّحَانًا
هَبَّتْ سُحَيْرًا فَجَاجَى الغُصْنَ صَاحِبَهُ
مُؤَسَّوسًا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِغْلَانًا
وُزِقَ تَغْنِيً عَلَى خُضْرٍ مُهْدَلَّةٍ
تَسْمُو بِهَا وَتَشْمُ الأَرْضُ أَحْيَانًا
تَخَالُ طَائِرَهَا نَشْوَانَ مِنْ طَرْبٍ
وَالغُصْنُ مِنْ هَذِهِ عَطْفِيهِ نَشْوَانًا

وشاعرية ابن الرومي وفنه يؤكدها دارس آخر لشعره وهو خليل شرف الدين في موسوعته الأدبية حيث يذهب مع عميد الأدب إلى أن قصائد الشاعر الطويلة كادت أن تخرج نفسها من دائرة الشعر، يقول: ابن الرومي لم يكن شاعراً مبدعاً في مطولاته حين راح يفلسف الشعر أو بالأصح يمنطقه ويجري فيه مجرى الاسترسال والاستقصاء، ويضيف مبيناً أن مقطوعاته أعلى جودة من مطولاته: على أنه في الفلزات والمقطوعات يبرز شاعراً حقيقياً، شاعراً لماحا يجيد مداعبة الألوان والأصوات والتهاويل والرموز في حديث حوارى تلويني يبث فيه كل مشاعره وأوجاعه (خليل شرف الدين. 1987. ص72) وتؤكد الأبيات الآتية جودة المقطوعات الرومية، يقول: (ابن الرومي. 1998. 235/4)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يُهْلِكُ أَهْلَهُ
إِذَا جَمَّ آتِيهِ وَشَدَّ طَرِيقَهُ
وَمَنْ جَاوَرَ الْمَاءَ الْغَزِيرَ مَجْمَةً
وَسَدَّ سَبِيلَ الْمَاءِ فَهُوَ غَرِيقُهُ

وقد تحدث طه حسين عن التشخيص عند ابن الرومي كما قام بدراسة تحليلية للقصيدة التي يعاتب فيها الشاعر صديقه الشطرنجي، وأصدر رأيه في نهاية تحليله قائلاً: «مع أن هذه القصيدة لا تكاد تتجاوز تسعة وعشرين ومائة بيت (129) فقد ألم فيها بفنون مختلفة، فهو ممدوح وهو محاور، وهو

واصف، وهو بالغ بعبابه حدا نستطيع أن نقول إنه هجاء، ولكنه نفسه يقول إنه لا يهجو [...] وهو على هذا حريص أن يرتب قصيدته وألا يرسلها إرسالا». (طه حسين. د.ت). ص (149)

4. ابن الرومي في النقد المعاصر:

تردد اسم ابن الرومي في الكثير من الدراسات المعاصرة التي عنيت بالأدب العباسي عامة أو تلك التي أفردت العمل حول شعره، أو أسلوبه أو فكره، من مثلما يجد القارئ عند كل من: شوقي ضيف، أحمد خالد، حامد حفني داوود، خليل شرف الدين، محمد عبد المنعم خفاجي، أمين أبو الليل، فوزي عيسى، عبد الفتاح نافع. وقد خصص شوقي ضيف لابن الرومي (29) تسعا وعشرين صفحة في كتابه: العصر العباسي الثاني، من ص 295 إلى ص 324. أما أمين أبو الليل فقد خصص له (16) ست عشرة صفحة في كتابه العصر العباسي الثاني من 174 إلى 189 (سنة الطبع 2007). وتطرق فوزي عيسى إلى حياته وخصائص أسلوبه عارضا نماذجا من شعره فيما يفوق الأربعين صفحة، من الصفحة 347 (سنة الطبع 2008). أما عبد الفتاح نافع فقد درس فلسفة السخر في شعر ابن الرومي في كتابه: الشعر العباسي قضايا وظواهر وكانت دراسته معمقة لهذا الجانب في شعر الشاعر بدء من الصفحة 115 (سنة الطبع 2008) وهناك الكثيرون غيرهم ممن تعمقوا في درس ابن الرومي إضافة إلى العديد من الرسائل الأكاديمية التي في أغلبها نشرت ككتب، وليس المجال هنا مجال عرضهم وتعدادهم وإنما كان لابد من الإشارة إلى جهودهم.

4. 1 أحمد خالد (ابن الرومي، صدر عام 1977): هو كتاب صغير الحجم عدد صفحاته

(161 ص) صدر في سلسلة الطرائف قسمه صاحبه إلى قسمين: قسم أول: تناول فيه حياة الشاعر؛ مولده وحياته ومدحيه إضافة للتلميح إلى شعره وشاعريته وفن التصوير عنده مع إدراج آراء بعض النقاد القدامى فيه. وقسم ثان انتقى فيه بعض المنتخبات الشعرية الرومية قسمها تقسيما موضوعاتها تحت باقة من العناوين الرئيسية مثل (مذهب ابن الرومي في الحياة- وصف المأكول والمشروب- وصف القيان وآلات الطرب- العتاب وشكوى الزمان- التصوير الماسخ والهجاء...) وغيرها من العناوين مدرجا تحتها عناوين فرعية.

يقول عنه أحمد خالد في معرض كتابه: «ابن الرومي شاعر قديم محدث، بمعنى أنه مجدد في إطار القديم. فهو لم يغادر عمود الشعر العربي، وإن قيل عنه (طائر يغني في غير سرب)، ومن جهة أخرى نجده ميالا إلى الغريب في مطولاته الشعرية الدالة على طول نفسه، مكثرا من المعاني التي لا تستخرج إلا بالغوص ومن فلسفي الكلام» (أحمد خالد. 1977. ص 29).

ويقول عنه أيضا: «عالج ابن الرومي الأغراض الشعرية التقليدية، ولم يتميز عن غيره من الشعراء بغرض جديد، ولكنه جَوَّد الوصف فاشتهر به. وكانت ملكة التصوير متأصلة فيه وإذ كان شاعرا، فقد عوض الريشة والألوان الزيتية بلغته وأوزانه لرسم الصور، فخلق فيها الشكل والحركة والحالة النفسية» (أحمد خالد. 1977. ص 30).

صحيح أن ابن الرومي عالج الأغراض الشعرية المعروفة جميعا من مدح وهجاء وغزل وفخر ورتاء، إلا أنه على عكس ما قال أحمد خالد فقد تميز عن غيره بغرض جديد أدخله للشعر العربي ألا وهو رثاء المدن بميميته الشهيرة في رثاء البصرة التي هجم عليها الزنج بقيادة العلوي الخارجي، وقد أبدع فيها الشاعر أيما إبداع مما جعل الشعراء بعده ينهجون نهجه وخاصة الأندلسيين في رثاء مدنهم، وقد قال في رثاء البصرة: [الخفيف] (ابن الرومي. 1998. 131/5)

ذادَ عن مُقَلَّتِي لَدَيْدَ المِنامِ شُغَلْها عَنْه بِالدموعِ السَّجَامِ
أَيُّ نَوْمٍ من بَعْدِما حَلَّ بالبِصْرِ رةَ ما حَلَّ من تَلَكُّمِ الهِئاتِ العِظامِ
أَيُّ نَوْمٍ من بَعْدِما انْتَهَكَ الرِزْدَ حَجَّ جَهَّارِ مَحارِمِ الإِسْلامِ

صحيح أن ابن الرومي اشتهر بالوصف، بل إن وصفه كان مميزا فقد أدخل الوصف في جميع الأغراض الشعرية، فكثيرا ما كان يرسم قصصا شعرية موظفا فيها الحوار والسرد والإخبار في قالب وصفي جميل، ويرى أحمد خالد أنه «مزج في تصويره الواقع بالخيال، فنقل المرئيات والمسموعات نقلًا أمينًا مثلما تفعل عدسة المصور، ثم استنبطها بخياله المجنح فولد منها صورا جديدة وجعل لها أبعادا فكرية ونفسية وجمالية ضخمت المنقول الأصلي» (أحمد خالد. 1977. ص30) يقول واصفا قالي الزلابية: [البسيط] (ابن الرومي. 1998. 412/1)

ومستقر على كرسية تعب وروحي فداء له من منصب نصب
رأيته سحرًا يقلّي زلابية في رقة القشر والتجويف كالقصب
كأنما زيتته المغلي حين بدا كالكيمياء التي قالوا ولم تصب
يلقى العجين لجينا من أنامله فيستحيل شبابيكًا من الذهب

يقول عنه أحمد خالد: «وقد ساعدت ابن الرومي حساسيته المرهفة على تدقيق الملاحظة، فلم يفته في رسومه لون ولا شكل ولا طعم ولا رائحة ولا صوت إذ كانت حواسه مرهفة فتكاملت في تلذذها بمتع الحياة وجمال الوجود[...]. وتكافأت في نفورها من كل قبيح منشاء» (أحمد خالد. 1977. ص30، 31)، والواضح أن أحمد خالد في دراسته لابن الرومي قد تعمق في نفسية الشاعر وفي شخصيته مما جعله يصدر أحكاما تلونت بالطابع العاطفي من ذلك قوله: «تضايق ابن الرومي المتكالب على اللذات من الصيام[...]. نهمه لا يعرف تقيدا بدين ولا تحليا بصبر» (أحمد خالد. 1977. ص55). وقوله: «كان ابن الرومي مززع النفس، تنتابه هواجس تشيع الرعب من الموت إذا تأمل الحياة المهتدة بالفناء، ولذا تجده مقبلا على ملذاتها بنهم شديد، وشهوانية مفرطة» (أحمد خالد. 1977. ص53).

ويقول عنه أيضا: «ابن الرومي - كما علمت - شهواني تغريه المتع فيشتهيها وينعشها، ويقبل عليها بنهم كبير ويبدع في تصويرها وتشخيصها في لوحات شعرية، من أروع ما قيل في وصف المأكول والمشروب، وحق له أن يفاخر في "أدب المائدة"» (أحمد خالد. 1977. ص70). ويقول عنه أيضا: «

لا تعجب من تفضيل ابن الرومي الشيعي النرجس على الورد، إذ يجد في الأول الخضرة والصفرة والبياض وهي رموز الطالبين ويعتبر الثاني زهر البلاط» (أحمد خالد. 1977. ص83).

الواضح أن المؤلف يتهم ابن الرومي بالثم والشهوانية المفرطة، وكل هذا راجع لكونه يصف وينعت المأكول أو المشروب في ذلك الوصف، فصور لنقاده أنه متهاك على المذات، والمتهاك هو الذي يرمي بنفسه دون أن يقدر العواقب، إلا أنه كان لابن الرومي حدودا يقف عندها ولا يتجاوزها. وقد اتهم ابن الرومي في بطنه حتى إن ألفاظ نقاده كانت جارحة، يقول خليل شرف الدين في موسوعته الأدبية عن اللذة عند ابن الرومي: «فلا فرق عنده بين أنواع هذه اللذات كلها واحد، وكلها ينبع من اللذات الحسية ويصب في قناة واحدة هي بطنه مرورا بحواسه الخمس جميعا.. غريزته منلظمة باستمرار، لسانه متمطق أمام الأطياب على الدوام.. أنفه أنف كلب يشم على أمتار.. أما أذناه فأذنا فرس أصيل مرهفتان لتلقي أي لحن وأي صوت: يرتاح للمطرب منها، وينفر من قبيحها وناشرها» (خليل شرف الدين. 1987. ص126)، وهذا النقد الجارح يشبه الهجاء المقذع الذي كان يطلقه ابن الرومي على مهجوبه فقد شرب من الكأس نفسها، وإن كان هذا قد لحقه بعد موته بأزيد من ألف سنة وهو أشبه بالسباب منه بالنقد، فالنقد الأدبي يترفع عن إلقاء التهم والإفذاع، والنقد البناء يدرس شعر الشاعر ولا يسلب سياطه على الشخصية ليجلدها بأفزع الصور وأشأها.

4. 2 شعيب محيي الدين (خصائص الأسلوب في شعر ابن الرومي صدر عام 2004):

الكتاب في الأصل عبارة عن رسالة أكاديمية تطرق فيها صاحبها إلى خصائص الأسلوب في الشعر الرومي دارسا منها: المستوى الصوتي والصورة الشعرية والمستوى المعجمي إضافة إلى التركيب الأسلوبية عند الشاعر، ليعطي للمتلقي في نهاية بحثه جملة من مميزات الأسلوب الرومي، متوصلا إلى خلاصة مفادها أن: «الحديث عن خصائص ابن الرومي هو الحديث عن عبقرية الشاعر في شخص الإنسان وعن مميزات الإنسان في عبقرية الشاعر. ومن هنا فإنك لا تستطيع الفصل بين خصائص حياته وخصائص شعره؛ إذ حياته وشعره توأمان لا ينفصلان» (شعيب محيي الدين سليمان فتوح. 2004. ص18) وهذه الحقيقة هي التي توصل إليها النقاد المتقدمون كابن خلكان والعتاد، والمتصفح لصفحات الديوان يجد سيرة الشاعر ماثورة في ثنايا قصائده إضافة إلى أحوال عصره وسمات شخصيته؛ من يحب ومن يكره ومتى وكيف يغضب، ووصف شكله ومراحل عمره وداره ومجالسه ورحلاته وجلساؤه وأبناءه، وشخصيات عصره حتى المبرد والأخفش والبحثري في شعره.

وتنوع بحوره وتعدد أغراضه الشعرية وتلون قصائده بين الطول والقصر، من المقطوعة إلى البيت المنفرد والبيتين، كل هذا يدعو القارئ لشعره التأمل مطولا ليقف على خصائص هذا الشعر الأسلوبية، والتي توصل إليها شعيب محيي الدين إذ يقول: «فمن خصائص ابن الرومي غلبة العقل على جموح الخيال[...]. وهذه الحقيقة تقودنا إلى خصيصة ثانية هي غوص الشاعر وراء المعاني حتى يستوفيها ويستقصيها، وحتى تصل به المبالغة في إيافتها واستقصائها حد الإتيان بالصور والمعاني

الغريبة التي تنفر الناس أحيانا [...] على أنه لا يسعنا - أيضا - أن ننكر من خصائص ابن الرومي، معرفته وإلمامه أو تأثره على أقل تقدير بالثقافتين [الرومية والفارسية] يضاف إلى ذلك الثقافة الإسلامية العربية [...]، ومن خصائص ابن الرومي اعتماده التشخيص «(شعيب محيي الدين. 2004. ص 19، 20) ويضيف إلى هذه الخصائص وحدة القصيدة لديه فهي «وحدة فنية متكاملة هي صورة، أو لوحة، أو أغنية، أو سمها ما شئت، فلا مجال فيها - إلا ما ندر - للتلاعب بالسياق [...]» ومن أخص خصائص ابن الرومي، أنه شاعر الشخصية في الأدب العربي، كما هو شاعر الوصف «(شعيب محيي الدين. 2004. ص 21).

من خلال ما ذكره المؤلف عن خصائص الأسلوب عند ابن الرومي يمكننا حوصلتها في جملة من النقاط وهي:

1. **غلبة العقل على الخيال:** وهي خصيصة أكثر ما قيل عنها أنها وليدة الثقافات الأجنبية، وخاصة ما يعرف بالثقافة اليونانية كما وجدنا القول عند كل من العقاد وطه حسين، وهي خصيصة تتعلق بأصول الشخصية المنتجة؛ إذ يرى علماء الاجتماع أنه لكل عرق خصائص وطبائع تميزه عن غيره فكما اشتهر عند العرب صفات ميزتهم عن غيرهم كالكرم والإباء والمروءة والأنفة والوفاء، ومعلقة عمرو ابن كلثوم تصور جانباً من ذلك. اشتهر عند غيرهم صفات أخرى: كالخوف وحب الحياة، كما هو الحال عند اليهود، إذ يقول عنهم المولى عز وجل: ﴿وَلْتَدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجَحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)﴾ (البقرة) وابن الرومي كان صاحب أصول فارسية ورومية ويرجح الدارسون أنه كان لها الأثر في شعره.
2. **غوصه وراء المعاني:** فهو يتقصى معانيه ويستوفي صورته استقصاء واستقاء قد يكون مبالغاً فيه - أحيانا - مم يجره إلى هشاشة الأسلوب ويجرفه إلى سهولة العبارة، فتأتي الكثير من أشعاره ذات بنية سطحية تكاد تخلو منها البنية العميقة، مما يوحي في كثير من الأحيان أن أسلوبه مباشر يكاد يخلو من الصور البيانية والمحسنات البديعية؛ «فهو لا يكاد يجهد نفسه بالبحث عن ألوان البديع ولكن إذا استقام له من البديع شيء، فهو لا يرفضه وإذا تيسرت له في ألفاظه متانة أو رصانة أو جزالة، فهو لا يتحرج فيها ولكنه لا يجعل الصناعة الفنية دأبه» (شعيب محيي الدين. 2004. ص 19).

وهذا الأمر قد يعود إلى عدة أسباب عند ابن الرومي لعل من بينها: طول القصائد الرومية، إضافة إلى تعدد الأغراض وتنوعها ثم كثرة الإنتاج الشعري الرومي؛ إذ لا تكاد تقوته مناسبة أو موقف أو شعور أو حالة نفسية دون أن يعبر عن ذلك شعرا وهو ما يجعل شعره عفو الخاطر لا يكاد يعمل فيه الفكر المطول حتى يوشحه ويطرزه بألوان البديع والبيان.

3. **طول قصائده:** طول النفس عند ابن الرومي جعل الكثير من قصائده تريبو على المائة والمائتين بيت، مما يدل على براعة الشاعر وسهولة غرفه من نبع الشعر، كأنه يغرف من بحر ليسر وسهولة مخرج الشعر عنده، وهي خاصية شعرية يتمتع بها قلة من الشعراء كما هو الحال عند الفرزدق.
4. **المزيج الثقافي:** فابن الرومي رومي مخول وفارسي معمم وإسلامي دينيا وعربي لسانا، هذا المزيج الثقافي ساهم في نمو شخصيته الشعرية وسما بها إلى صفاف الشعراء المجددين فوضع بصمته الشعرية على الكثير من الأساليب التي صارت تنسب إليه، وتسمى معان رومية، كما فعل بشار وأبو تمام.
5. **الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية للقصيدة:** كثير من قصائد ابن الرومي وجل مقطوعاته تقريبا تتميز بالوحدة الموضوعية فهو يتناول موضوعا واحدا ويغوص فيه فتجده يمتط المعاني ويمدها ولكنها لا تكاد تخرج من ذلك الموضوع ذاته، وهو أمر لم يؤلف في الشعر العربي القديم. لقد تحرر ابن الرومي من قالب الفنى للقصيدة القديمة، والذي قد كسره قبله أبو نواس منكرا وقوفه على طلال بال متغنيا بنوي ودمنة في زمن صارت فيه الخيام ماضيا والقصور حاضرا.
6. **اعتماده التشخيص:** لقد أضاف ابن الرومي صفات المعنوي إلى المادي فجعل الأغصان نساء والثمار نهودا والأفكار شخوصا والعيدان أطفالا، وراح يصف ويحاور ويناقش ويخاصم ويحنو إلى كل ذلك، وهكذا جعل الحياة تدب في الأشياء الجامدة والمعطيات العقلية.
7. **شاعر الشخصية:** يعتبر ديوان ابن الرومي ترجمة لحياته فهو ككتاب مذكرات سجل فيه جميع مراحل حياته، وكل من مروا به من أشخاص وشخصيات، وكل ما مر به من أحداث مسجلا أفرحه وأتراحه، وحتى الجوانب النفسية من شخصيته لم يغفلها شعره، إضافة إلى أحداث عصره ووصفه له: سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، فديوانه كتاب تأريخ للقرن الثالث الهجري.
8. **شاعر الوصف:** ابن الرومي وصاف إلى أبعد الحدود فالوصف عنده موجود في كل الأغراض - كما أشرنا سابقا- «وقد جاء غرض الوصف في ديوان الشاعر في المرتبة الثانية بعد الهجاء وقد بلغت عدد نصوص هذا الغرض (500) نسبته المئوية بلغت 24.47%» (شعيب محيي الدين. 2004. ص24).

هذه الخصائص الأسلوبية لشعر ابن الرومي التي أشار إليها شعيب محيي الدين حاولنا شرحها وبيانها، وهي تدل على أن المؤلف قد درس الشاعر بعمق وأحاط بما لديه من أخبار، وقد اعتمد على الإحصاء في دراسته هاته إذ طعمها بجداول إحصائية سواء للبحر الشعري الواردة في الديوان أو للأغراض الشعرية وكذا للمعجم الشعري وبعض الحقول الدلالية: كحقل الأفعال وحقل الألفاظ المعجمية والأعلام الواردة في الديوان وغيرها من الحقول. وقد أرفق كل هذا بنسب مئوية

ورسوم بيانية وجداول توضيحية وجداول تجميعية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظم الجهد المبذول في هذه الدراسة، وهو جهد يستحق أن يشكر عليه صاحبه؛ إذ سهل للدارسين بعده الكثير من العمل وقلص لهم الجهد والوقت في البحث بفضل عمله هذا.

خاتمة:

ويلاحظ بعد عرض بعض آراء النقاد العرب المحدثين حول ابن الرومي أن حكمهم على الشاعر وشعره لم يكن مستوفيا حد الإنصاف؛ لأنهم لم يتطرقوا للكثير من نواحي هذا الشعر ولعل السبب عائد لنقص المصادر التي تناولت هته الشخصية بين أيديهم يومئذ وبالدرجة الأولى إلى عدم توفر المصدر الرئيس ألا وهو ديوان الشاعر كاملا كما هو بين يدي القارئ اليوم في مجلداته الستة بتحقيق عبد الأمير علي مهنا الذي لم يترك بيتا يشك في نسبته إلى ابن الرومي إلا وأورده متحريرا مستقصيا الصحيح منها موردا المشكوك في نسبتها آخر كل حرف من حروف القافية.

فكل من المازني وطه حسين وشوقي ضيف لم يقع الديوان كاملا بين أيديهم حين دراستهم لشعر الشاعر وتلك شهادتهم بأقلامهم، يقول المازني تحت عنوان (ديوان ابن الرومي، كلمة تمهيدية عامة): «هذا الكتاب أصغر من عنوانه؛ اسمه: (ديوان ابن الرومي) وحقيقته مختارات من شعره انتخبها شاب فاضل من أنصار المذهب الجديد في الأدب، هو كامل أفندي كيلاني، وأهداها إلى روح والدته [...] وجعلها ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، جملة صفحاته خمسمائة، فيها قريب من سبعة آلاف بيت [...] وهذه المختارات في ذاتها خير ما كان ينتظر، وإن كانت على هذا مجموعة حيثما اتفق، ومسرودة على غير نسق مفهوم ونظام معلوم، ولم تكن وراءها فكرة ظاهرة أو غرض يطالعك، سوى حشد طائفة من الشعر». (المازني، 1976، ص 278)

ويقول طه حسين: «ديوان ابن الرومي من أكبر دواوين الشعر العربي، بل لعله أكبرها وأضخمها وهو أقل انتشارا، ولعله لم يطبع إلى الآن، بل لم يطبع إلا جزء صغير ومختارات اختارها كاتب أديب من هذا الديوان، هو الأستاذ: كامل كيلاني». (حسين، طه. د.ت. ص 132)

ويقول شوقي ضيف: «ولابن الرومي ديوان ضخم لم ينشر حتى الآن، إنما نشر منه الشيخ محمد شريف سليم جزأين، ونشر منه كامل كيلاني مختارات باسم (ديوان ابن الرومي)، وهو الذي نرجع إليه غالبا « (ضيف، شوقي. د.ت. ص 312)

يقول أحمد خالد: «توجد مخطوطة لديوان ابن الرومي بدار الكتب المصرية بالقاهرة ونشر كامل كيلاني مختارات من الديوان، سنة 1924 بالقاهرة، في ثلاث وخمسمائة صفحة، وحقق الديوان وطبع منه جزأين حتى حرف الخاء محمد شريف سليم بالقاهرة بين سنة 1917 وسنة 1922، ووصلنا منتخبات من شعر ابن الرومي متفرقة في مراجع قديمة، وفي دراسات حديثة منها ما حققه سعيد البستاني، من شعر مرموق بجامعة باريس» (خالد، أحمد. 1977، ص 358)

وقال قبلهم ابن خلكان: « وكان شعره غير مرتب، ورواه عنه المسيبي، ثم عمله أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف، وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ، فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت » (ابن خلكان. د.ت. ص.358)

إذن عدم توفر شعر ابن الرومي مطبوعا كاملا لا يسمح للدارس بالعودة إلى الأشعار كلها حين التأليف إلا ما أخذه من المختارات أو مما خطه بنفسه من النسخة المخطوطة بدار الكتب.

يقول العقاد: « فقد ذهب شعر بشار إلا أقله وذهب شعر دعبيل إلا أقله وبقي ديوان ابن الرومي كله فلم يذهب منه إلا أقله. [...] فتأخر طبعه في العصر الحديث لأسباب غير الخمول والإهمال؛ تأخر لأن ديوانه أطول ديوان محفوظ في اللغة العربية من جهة، ولأن نسخته- من جهة أخرى- لم تكن ميسورة في البلاد السورية حيث طبعت الدواوين، وربما كان الإقذاع في الهجاء سببا ثالثا مضافا إلى ذينك السببين » (العقاد. 1980. ص.13).

وطول ديوان ابن الرومي وتعدد أغراضه يجعله معينا لا ينضب أمام الدارسين والباحثين فمهما تعددت الدراسات حوله يبقى هناك ما يقال، فصاحب النفس الطويل هو من يستطيع الوقوف على ديوان تصل قصائده ومقطوعاته (2040) وتتجاوز أبياته مئات الآلاف.

قائمة المراجع:

- ابراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد. (1985). ابن الرومي في التراث النقدي والأدبي، رسالة ماجستير. جامعة اليرموك، كلية العلوم الإنسانية معهد اللغة العربية، الأردن.
- بروكلمان، كارل. (1993) تاريخ الأدب العربي. تر: عبد الحليم النجار وآخرون. طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- بومدين، سليمان. (مارس، 2009). المرض والشخصية أو كيف يخلق الفرد أمراضه. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، العدد 16
- حسين، طه. (د.ت). من حديث الشعر والنثر. (ط.12)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- خالد، أحمد. (1977). ابن الرومي. الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. ط1.
- خفاجي، محمد عبد المنعم. (2004). الحياة الأدبية في العصر العباسي، تصوير صادق للحياة الأدبية في هذا العصر العظيم وترجمة لأعلامه ونابعيه. دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. (د.ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تح: إحسان عباس. دار الصادر. بيروت، لبنان.

- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن. (1981). العمدة في محاسن الشعر ونقده. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. (ط.05)، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان.
- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس. (1998). الديوان. تحقيق: عبد الأمير علي مهنا. (ط.02)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- شرف الدين، خليل. (1987). الموسوعة الأدبية الميسرة. أبو نواس، ابن الرومي، المتنبي. دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- ضيف، شوقي. (د.ت). تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني. (ط.02)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- عباس، إحسان. (2006). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري. (ط.04)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- العقاد، عباس محمود. (1980). المجموعة الكاملة، تراجم وسير، المجلد الخامس، ابن الرومي-أبو العلاء المعري. دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
- أبو العلاء المعري. (2000). رسالة الغفران. تقديم وشرح: مفيد قميحة. دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة.
- فتوح، شعيب محيي الدين سليمان. (2004). الأدب في العصر العباسي، خصائص الأسلوب في شعر ابن الرومي. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. (2005). الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء. تح: مفيد قميحة، محمد أمين الصاوي. (ط.02). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المازني، إبراهيم عبد القادر. (1976). حصاد الهشيم. (ط.03)، دار الشروق، القاهرة، مصر.
- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن موسى. (1995). الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. تح: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن منظور، جلال الدين. (1997). لسان العرب. دار الصادر، بيروت، لبنان.